



BZU-HUB

صُمِّمَ هَذَا الموقع لِيخدم طلبة جامعة بيرزيت، وهو
موقع غير ربحي



– المساهمة الكتابية –

كلية الآداب ، دائرة الفلسفة والدراسات الثقافية
الحضارة الأوروبية الحديثة والمعاصرة

الدكتورة نادية بقلّة

لقمة عيشٍ مُغمسةٍ في الدِّماء

هل لو خيرت أن تستيقظ الساعة الثالثة فجرًا لتذهب لعملك ماراً بطريق مليء بالجواجز والأخطار، غائباً عن عائلتك لأيام وربما لشهور لاخترت ذلك عوضاً عن الاستيقاظ في الثامنة صباحاً واحتساء القهوة أثناء الذهاب للعمل وعودتك لعائلتك قبل غروب الشمس؟ إذاً ما الذي يدفع العمال لذلك؟ ما الظروف التي يعملون بها؟ وما الحقوق التي تسلب منهم؟ كيف يمكنهم التخلص من هذا الذل والعذاب؟ وما مدى رضاهم عن عملهم ذلك؟ وما العلاقة بين الرأسمالية وعمالة الفلسطينيين في الأراضي المحتلة .

إن الحاجة هي السبب الرئيسي الذي يدفع الفلسطينيين للعمل في أراضيهم المحتلة وتحت أيدي صهيانية سلبوا منهم أراضيهم وحقوقهم ، كما ساعدت حاجة المشروع الاستيطاني للأيدي العاملة وحاجة الفلسطينيين للوظائف في تدفق العمال للأراضي المحتلة ، حيث وصلت أعدادهم إلى ما يقارب أكثر من ١٥٥ ألف فلسطيني يعمل في الأراضي المحتلة سواء كان بشكل نظامي – الدخول بتصريح – أو بشكل غير نظامي – بلا تصريح – ، حيث يتقاضى العامل هناك ثلاثة أضعاف ما يتقاضاه العامل في الضفة الغربية ، مما يدفعه للمخاطرة في حياته والتنازل عن حقوقه والعمل في ظروف عمل سيئة جداً وتفتقر لكافة تدابير السلامة والأمان ، وانتهاكات لحقوق العمل كعدد ساعات العمل المسموحة والإجازات الرسمية والأجور ، إن الغالبية العظمى منهم من يعملون في مجال البناء والذي يعد الأخطر في جميع المجالات وهذا أحد صور استغلال العامل الفلسطيني في وضعه في الأعمال الخطيرة في حين أن العامل الإسرائيلي يعمل في المجالات التي تقل في نسبة الخطورة ، إضافة لما سبق لا ننسى ذكر الإهانات التي يتعرض لها العمال على الحواجز والمعابر ، وقضاء عدة ساعات من الانتظار فقط ليسمح الجنود لهم بالدخول ، ولا ننسى أن دخول الفلسطينيين يكون حسب رغبة جندي جبان ، ويعاني الفلسطينيون في عملهم في الأراضي المحتلة من ساعات العمل الطويلة ، والتمييز العنصري بين العامل الفلسطيني وحصوله على أجر أقل من العامل الأجنبي على الرغم من أن العامل الفلسطيني هو من يبذل جهداً أكبر ويخاطر في حياته أكثر ، ومن أبشع صور الاستغلال إلزام أصحاب العمل لعمالهم بالتنازل عن حقوقهم كافة مقابل ألا تلغى تصاريحهم ، ومن الحقوق التي يتنازل عنها أن لا يكون لهم تأمين صحي ، وإجازات رسمية غير مدفوعة الأجر .

إن قضية العمال الفلسطينيين في الأراضي المحتلة تقارب جداً مساهمة المفكر كارل ماركس ، التي تناقش بعض الظواهر الاجتماعية كالتمييز العنصري ، وصراع الطبقات ، والفقر ، ومحاولة الرأسمالية للسيطرة على الأراضي واستغلال الطبقات الفقيرة المحتاجة ، حيث ناقشت المساهمة عدم المساواة الاجتماعية ، وملكية وسائل الإنتاج ، وكما نرى في القضية الفلسطينية المعاصرة يقسم الناس في الأراضي المحتلة إلى برجوازيين مضطهدين وهم الصهاينة المحتلين وأصحاب رؤوس الأموال ، والعمال الفلسطينيين الذين يمثلون البروليتاريون وهم المضطهدون المحتاجون للعمل وللمال ، المستغلون في أراضيهم من الطبقة المالكة للأراضي قسراً ، وهي من تملك فرص العمل والتي تفرض عليهم ظروف عمل سيئة ، وفي قوانين البرجوازيين من يتنازل من العاملين أكثر هو الذي يحصل على العمل وهذه أحد

أنواع العبودية المُبطنة ، لأن صاحب العمل لا يدفع مقابل الانتاج الحقيقي إنما مقابل قدرة الشخص على التخلي .

صراع الطبقات في مساهمة ماركس يقابل الصراع بين المحتل الصهيوني الذي يريد أن يُشغل العمال الفلسطينيين بأجور أقل من جهدهم وتعبهم ، وبين العاملين الفلسطينيين الذين يطمحون الحصول على ما يستحقونه دون أي نقص أو انتقاص من جهدهم ، وهذا النظام ليس عادلاً ، ولا طبيعياً ويلزم تغييره ، وهذا ما قدمه ماركس في مساهمته أيضاً حين كتب عن ولادة الشيوعية وسقوط الرأسمالية ، و يعرف المجتمع الشيوعي أنه مجتمعٌ حرٌ لا يوجد من يسيطر فيه أو يملك .

تحدث كارل ماركس في مساهمته عن الرأسمالية وهي نظام اقتصادي يقوم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وخلق السلع والخدمات لأجل الربح ، وعن الصراع الطبقي الذي قسم المجتمع إلى طبقتين البرجوازية وهي طبقة الرأسماليين الذين يملكون وسائل الإنتاج ويستخدمون العمل المأجور ، وطبقة البروليتارية وهي طبقة العمال الذين لا يملكون أي وسائل انتاج فيضطرون لبيع قوة عيشهم لكي يعيشوا ، واعتبر تاريخ أي مجتمع هو تاريخ صراعات طبقية بسبب اختلاف المصالح بين الطبقات الاجتماعية ، انتقد النظام الرأسمالي الذي يعتبر العامل كآلة لجلب الربح فقط ، واعتبره نظاماً ظالماً ، لأن العامل يشعر أنه مضطهد ويعمل دون رضا منه ولا يكون سعيداً بما يفعله ، مما يجعل انتاجيته أقل ، بينما في النقيض لذلك لو كان العمل يشعر بالراحة ، و حاصلاً على جميع حقوقه فسيؤدي هذا للعمل بشكل أفضل ، وانتاج أكبر ، وبجودة عالية ، فإن أصبح المجتمع مجتمعاً شيوعياً في ذلك الوقت يعمل العامل براحة أكثر ، وبذلك يشعر أيضاً بالأمان وثقة بالنفس ، مما يزيد من انتاجيته وتطور انتاج .

يرى ماركس أن الرأسماليين يعبدون الأموال ، وهي كل ما يشغل بالهم ليلاً ونهار ، ويرون أن العامل هو مجرد وسيلة فقط لجلب المال ، ولا يعاملونه كأه إنسان ، و كما نرى في قضية العمال في الداخل المحتل حيث أن أصحاب العمل الإسرائيليين كل ما يهمهم هو أن يحصلون على الأموال فقط ، من خلال تشغيل العامل الفلسطيني بأجر أقل مما يستحق ، واستغلال جهده ومضاعفته ، فقط للحصول على أهدافهم ، ففي هذه الحالة يصبح العامل الفلسطيني مجرد آلة لجلب الأموال لأرباب العمل وذلك لأنهم يستغلون ضعفهم وقلة فرص العمل في أراضي الضفة الغربية .

من الجانب الآخر إن العامل الفلسطيني يحارب الرأسمالية في الضفة الغربية أيضاً ، مع أبناء بلده ، لأنه الطبقات البرجوازية هي من تحدد فرص العمل كيف يتم توزيعها ، ف تُوزع على من يخصها فقط ، كالأقارب والأصدقاء أي التعامل في الواسطات ، وبعد حصول أصحاب النفوذ على العمل ، تبدأ المنافسة

بين أعداد كثيرة من أبناء الشعب على وظائف قليلة جداً ، عدا على ذلك العمل في الضفة الغربية يكون مقابل رواتب قليلة جداً ، لا تكفي لإعالة عائلاتهم ، ما يجبرهم على الذهاب للعمل في الأراضي المحتلة بأجور مضاعفة ما يقارب ثلاثة أضعاف أجرهم في أراضي الضفة ، لهذا السبب قد تجد كثيراً من الطلاب الخريجين ولكن يعملون في الأراضي المحتلة ، فما الذي يجبرهم على ذلك ؟ إن الذي يجبرهم هو الفرص الضئيلة في الضفة الغربية ، وأن الوظائف تُعطى لمن له واسطة ونفوذ أكثر ، ليس لمن هو ذو خبرة وكفاءة أكبر ومن يستحق .

من أبرز المشاكل التي يعاني منها العمال الفلسطينيون في الأراضي المحتلة :

صعوبة الوصول للعمل بسبب بُعد المسافات والحوازر والأخطار التي تفرض عليهم والأزمات بسبب كثرة العمال التي يدخلون من معابر محددة وقليلة مما يجبرهم على الخروج في ساعات الفجر المبكرة ليقفوا في صفوف طويلة ، وهذا الطريق الطويل الشاق يجبرهم على البقاء والمبيت في أماكن عملهم .

التمييز العنصري بين العامل الفلسطيني والعامل الإسرائيلي والأجنبي ، حيث يعمل الفلسطينيون في أخطر المواقع وأصعبها ولا ينالون حقوقهم كافية ولا يتقاضون نفس الأجور التي يتقاضاها نظيرهم الإسرائيلي ، ولا يُدفع لهم بدلاً من الإجازات التي هي حق لهم كالأعياد والإجازات الرسمية والمرضية ، بل ويرى صاحب العمل أنه كما يُقال في العامية – مفضلّ عليهم – ، بالإضافة لقضية إلغاء تصاريح العمال الفلسطينيين دون أي انذار ما يدفعهم للبقاء في منازلهم دون أي عمل .

التنازل عن الحقوق من أجل البقاء في العمل وبسبب غلاء التصاريح ما يجبرهم على الدخول تهريب ، وبهذا لا ينال العامل حقوقه في حالات الحوادث والإصابات .

إن الهدف لدى الرأسماليين هو الربح دائماً ، والتطور عن طريق امتصاص طاقة الطبقة العاملة ، وهي تكون الخاسر الوحيد في هذه المعادلة ، حيث يعمل الفلسطيني في أرضه المسلوبة منه طوعاً عنه وبأقل مما يستحق ، لكنه غير راضٍ عن ذلك ، بدايةً من النظرة التي قد ينظرها له أبناء شعبه الذين يرون أنها خيانة ، لكن لو نظرت لواقعهم قليلاً لو لم يعمل فمن أين له أن يطعم عائلته وأطفاله الجوعى ؟ أين هم من يقيمون وطنية الناس حسب عملهم في الأراضي المحتلة عن أطفال هؤلاء العمال الذين يستيقظون قبل شروق الشمس ويعودون لمنازلهم بعد غروبها ؟ وفي الجانب الآخر لا يرضى العاملين الفلسطينيون عن عملهم في الأراضي المحتلة بسبب المعاناة التي يعانونها ، والحقوق المسلوبة منهم ، والذل من المحتل والعذاب ، ولكن يوماً ما ستثور طبقة العاملين على البرجوازيين ، ويحصلون على حقوقهم وأراضيهم ، ويعملون بكرامة وكما يرغبون ، وهي ما قال عنها ماركس بالشيوعية وثورة البروليتاريين على البرجوازيين .

حسب ما ورد في مساهمة ماركس فقد كان ماركس يحاول التخلص من النظام الرأسمالي لأنه كان مجرد خروج من استعباد لاستعباد آخر ، ومن ظلم لظلم آخر ، من استعباد الحاكم الظالم ، ومن ظلم الإقطاعيين ، إلى الرأسماليين الذين لا يقلون ظلماً عما سبقهم ، فلم يكن هذا حلاً للمشكلة أبداً ، والاستعباد هنا يتمثل في جميع ما ذكر سابقاً ، كالأجور القليلة ، والجهد المضاعف ، و الحواجز والأخطار ، والحوادث وما قد يتعرض له العامل من ضرر ، وساعات العمل الطويلة ، و النظرة السلبية لهؤلاء العمال ، إنهم طبقة ضعيفة ويحتاجون لمن ينصرهم ، ويقدم لهم المساعدة ، فلا بُد للظلم أن ينجلي .

المصادر والمراجع :

<https://www.youtube.com/watch?v=NssQ9LWvuQk>

<https://www.youtube.com/watch?v=R0ILW1Tnm88>